

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير.

فلقد أخذ بعض المعلمين من أصل يهودي، يعلمون المسيحيين أن عليهم أن يعملوا بشرية النبي موسى لكي يخلصوا. وهاجموا الرسول بولس شخصيا زاعمين أنه لم يأخذ رسالة الإنجيل من المسيح نفسه. فردّ عليهم الرسول بولس مؤكدا أن المخلص المسيح دعاه شخصيا على طريق دمشق، بالرغم من أنه كان يهوديا متعصبا، ومضطهدا للمؤمنين. وأعلن له رسالة الإنجيل، التي تؤكد أنها نفس الرسالة التي بشر بها الرسل. وليس هذا فحسب بل إن الرسل في أورشليم أفرزوه رسولا للتبشير بالإنجيل بين الأمم. وقال بولس أنه هاجم الرسول بطرس شخصيا عندما حاول أن يرأي المؤمنين اليهود، وأكد أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط.

وتابع الرسول بولس طرح حججه بالنسبة لموضوع أن الإنسان يتبرر فقط عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، وليس بالسلوك بأعمال الشرعية أو الناموس. لأن العمل بالشرعية لا يبرر الإنسان أمام الله. فقال: "لأني مت بالناموس للناموس لأحيا الله. مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي." (غلاطية ٢: ١٩ و ٢٠)

فماذا تعني هذه الآية المقدسة: " لأني مت بالناموس للناموس لأحيا الله؟" نحن نعلم أن لا أحد استطاع أو يستطيع السير بموجب شرعية الله كاملة، لأن من خالف نقطة واحدة في هذه الشرعية صار مجرما في الكل. وبحسب هذا الناموس أي هذه الشرعية، فإن من يخالفها أو يكسرها فإنه يستحق الموت. وكانت النتيجة أن الجميع خالف هذه الشرعية ووقع في العصيان، وبالتالي أخطأ الجميع واستحقوا عقاب الموت. ولهذا نقرأ في الكتاب المقدس الآية المقدسة التالية: " أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد." (رومية ٣: ١٠-١٢)

لا يوجد إذن أمام الله أي إنسان صالح أو بار. لأن الجميع إن ساروا بحسب الناموس أو شرعية الله، أو إن لم يتبعوا الناموس أو هذه الشرعية هم خطاة وفسادون. ويستحقون بالتالي عقاب الله. لكن الله عمل عملا عظيما، إذ أرسل المخلص المسيح كلمته

الأزلي، لكي يأخذ العقاب عوضاً عنا. فمات المسيح على الصليب دافعاً ثمن عصياننا وخطايانا. وبالتالي فتح الباب أمامنا لكي ننال الغفران عن خطايانا. لهذا عندما قال الرسول بولس: **"لأني مت بالناموس للناموس لأحيا لله"**. فهو قصد أنه بموت المسيح الكفاري على الصليب مات هو أيضاً. أي مات الإنسان القديم المستعبد للخطية، والذي يستحق الدينونة. إن المسيح بموته البديلي مات للناموس. بمعنى أنه حقق مطالب الناموس الشريعة، بإدانة وعقاب الإنسان الخاطيء. وهكذا عندما يؤمن الإنسان بالمسيح، يموت هو أيضاً للناموس. أي يصبح في المسيح ميتاً للناموس. وعندما يموت المؤمن الحقيقي بالمسيح للناموس، لا تعد له أية علاقة به أي بالشريعة. إذ قد تحرر من هذا الناموس الذي يريد أن يقيدته بفرائض، ويلزمه بالتزامات لا يستطيع القيام بها. لأن المسيح أخذ العقاب عوضاً عنه.

فهل تحرر المؤمن بالمسيح من الناموس يعني أنه أصبح حراً لكي يفعل ما يشاء؟ بالطبع كلا. لأن الله يخلقه خليفة روحية جديدة تسعى لكي تعمل الصلاح، وتبتعد عن الشر. ولهذا قال الرسول بولس هنا: **"لأني مت بالناموس للناموس لأحيا لله"**. فعندما يموت المؤمن للناموس مع المسيح، يحيا من جديد مع الله. أي يصبح من أولاد الله الذين يسلّمون حياتهم بالكلية لله، ويعملون بحسب مرضاته. لقد أكد الرسول بولس في هذه الآية أن المؤمن بالمسيح الذي يريد أن يعود إلى التمسك بالناموس أو الشريعة، لا يدرك أن هذا التصرف يضعه تحت لعنة الناموس أي تحت الدينونة من جديد. وهكذا فنّد الرسول بولس هنا إدعاءات بعض المعلمين المسيحيين من أصل يهودي، القائلة بضرورة أن يعمل المؤمنون المسيحيون بالناموس أو بشريعة العهد القديم. إذ كشف لهم أن الناموس قد انتهى بموت المسيح.

تابع الرسول بولس قائلاً: **" مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بالمسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحببني وأسلم نفسه لأجلي."** (غلاطية ٢: ٢٠) يوضح الرسول بولس هنا ما سبق أن كتبه في العدد السابق أن المؤمن قد مات للناموس مع المسيح. فيقول أنه مع المسيح صُلب. فموت المسيح وأخذه العقاب عوضاً عنه، يكون هو قد مات أيضاً بنظر الله. إن الإنسان الذي يؤمن بموت المسيح الكفاري، يرفع الله الدينونة عنه، والسبب لأن المسيح قد دفع الثمن بدلا عنه، أي ينظر الله إليه من خلال المخلص المسيح. وليس هذا فحسب بل إن الله يغفر ذنوبه.

ولهذا تابع الرسول بولس قائلاً: **"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل بالمسيح يحيا فيّ"**. فيما أن المؤمن يتحد مع المسيح في موته، هكذا يتحد أيضاً معه في قيامته المجيدة. لقد مات المؤمن مع المسيح عن حياته القديمة، ولهذا فإن المسيح يحيا الآن في حياته الجديدة. والمسيح الذي يحيا في حياته بواسطة روح الله القدوس هو الذي يقوده، ويعطيه النصر والغلبة على الشر والخطية. وبتعبير آخر لم يعد هناك داع للمؤمن أن يسعى للسير بحسب شريعة الله، أو القيام بأعمال صالحة، لكي يخلص أو يتبرر أمام الله. لأن الله قد خلّصه وحرره من عبودية الخطية، وأصبح المسيح ساكناً في حياته.

ولهذا أضاف الرسول بولس قائلاً: " فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي." لقد أصبحت حياة المؤمن حياة الإيمان الكامل بالمخلص المسيح، المخلص المسيح الذي أحبه إلى المنتهى، وقدم نفسه لأجله ذبيحة على الصليب، لكي يرفع عنه الدينونة، وليهبه الغفران الكامل عن خطاياها. إن المؤمن الحقيقي يعيش حياة الإيمان أي الثقة والاتكال الكامل على شخص المسيح. فيخضع للمسيح، ويفسح المجال له لكي يحيا في حياته. وهكذا فإن المسيح لا الناموس صار هو أساس حياة المؤمن.

وختم الرسول بولس مناقشته قائلاً: "لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب." (غلاطية ٢: ٢١) لقد تجلّت نعمة الله بأجلى مظاهرها بموت المسيح الكفاري على الصليب، وبتقديمه الخلاص مجاناً لنا نحن البشر الخاطئة عن طريق الإيمان. وإن سعي الإنسان لكي يعود إلى الناموس القديم هو إبطال لنعمة الله هذه. إن العودة إلى الناموس يعني أننا نحاول عن طريق أعمالنا وجهودنا الخاصة إرضاء الله. وهكذا يغدو موت المسيح الكفاري وكأنه بلا جدوى ولا معنى له. لكن الحقيقة أن المسيح مات لكي ينقذنا نحن البشر الخاطئة.

وماذا عنك صديقي المستمع؟ هل ما زلت تعتقد أنه بإمكانك أن تخلص وتبترر أمام الله عن طريق أعمالك الصالحة وحفظك للفرائض الدينية؟ لقد أعدّ لك الله الخلاص عن طريق موت المسيح البديلي عنك. فهل تراك تؤمن؟